

عمارة الرومانيسك في إيطاليا - (الجزء 1)

Romanesque Architecture in Italy

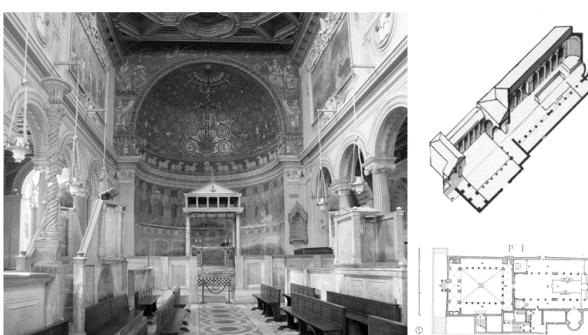
تتميز إيطاليا بين بلاد أوروبا بأنها كانت موطن العمارة الرومانية والعمارة البيزنطية وبالتالي فإن بقايا هذه العمارة كانت مائلة للعيان في القرون الوسطى في كثير من الأماكن وكثيراً ما كانت المباني القديمة لا زالت مستخدمة. فكان من الطبيعي أن يظهر تأثير هذه العمارة بشكل واضح على الكنائس في عمارة الرومانيسك في إيطاليا وهو ما يظهر من خلال اعتماد التصميم البازيليكالي والتمسك بالأسقف الخشبية الجملونية المرئية من الداخل إضافة إلى استمرار انعكاس هذا التصميم على الواجهات الخارجية، وبناء أبراج مستقلة عن المبنى، كما تم هنا استخدام التصميم المركزي في بناء مبانٍ مستقلة مخصصة للمعموديات .Baptistery

ولكن تقسيم إيطاليا إلى مقاطعات مستقلة يحكمها ملوك ونبلاء مختلفون، إضافة إلى الامتداد الجغرافي ومواد البناء المتوفرة والمناخ المختلف من منطقة إلى أخرى أدت جماعتها إلى ظهور تباين في العمارة بين هذه المناطق. حيث تشكل كاتدرائيات وكنائس شمال إيطاليا في كل من بارما وبافيا ومودبينا وميلانو مجموعة خاصة إضافة إلى كنائس روما ومباني التوسكانا في كل من بيزا وفلورنس ولوكا، التي تختلف بدورها عن مباني الجنوب في باري، بينما يظهر تأثير العمارة الإسلامية في أقصى الجنوب وفي جزيرة صقلية.

1. عمارة الرومانيسك في وسط إيطاليا

لم يذهب الإيطاليون في وسط إيطاليا بعيداً في إدخال طرق جديدة في أسلوب تصميم وإنشاء مبانيهم، فبقيت عمارتهم خاضعة لمعايير وقيم العمارة الكلاسيكية، كما أنهما فضلوا إبراز النواحي الجمالية والفنية في المبني، من خلال الاهتمام بالواجهات.

تم في روما الذي تشكل قلب المسيحية في الغرب ومركز البابوية بناء عدة كنائس في هذه الفترة مطابقة في تصميها لكنائس فجر المسيحية بهدف إحيائها، كما في كنيسة سانتا ماريا ان كوسميدين Santa Maria in Cosmedin, Rome في القرن 12 م وكنيسة سان كلimenti San Clemente al Laterano, Rome التي جرت إعادة بنائها ما بين 1108-1128 م فوق كنيسة من القرن السادس الميلادي.



كنيسة سان كليمينتي في روما

كنيسة سانتا ماريا ان كوسميدين في روما

تتميز الكنيستان ببنية بازيليكالية مكونة من ثلاثة مجازات مع تناوب للدعامات والأعمدة في الرواق الفاصل وتنتهي المجازات الثلاث من جهة الشرق بمحاريب أكبرها هو المحراب المركزي. سقف المبنى جملوني ذو بنية خشبية مرئية من الداخل. ويتحقق بالمبنيين من جهة الغرب رواق أمامي وفناء. مادة البناء الرئيسية هي القرميد مع أعمدة وتيجان رخامية معادلة الاستعمال وأرضية المبنيين من الرخام المشقق.

1.1. عمارة الرومانيسك في منطقة التوسكانا

يطلق على عمارة مقاطعة التوسكانا في هذه الفترة عمارة ما قبل عصر النهضة Proto-Renaissance وهي تستمر وصولاً إلى عصر النهضة دون حضور قوي للعمارة الغوتية.

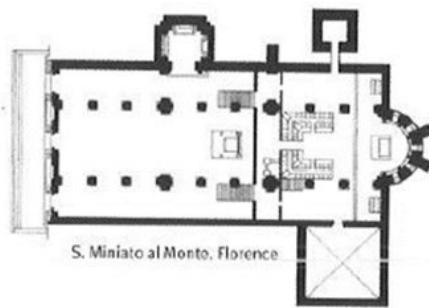
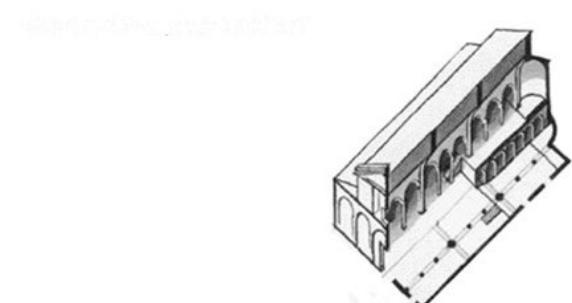
تتميز عمارة هذه المنطقة باستخدام القرميد كمادة بناء رئيسية مع إكساء الجدران الخارجية والداخلية بالرخام بشكيلات هندسية مميزة وكانت الأخشاب العنصر الرئيس في إنشاء أسقف الكنائس. ويظهر انعكاس بنية البازيليكا المتدرجة في الواجهات الخارجية التي يعتمد في تشكيلها على الأروقة الظاهرة blind arcade إضافة إلى الأروقة الصغيرة dwarf gallery وخاصة في الواجهة الأمامية. أما برج الكنيسة campanile فهو غالباً برج مستقل مربع الشكل ذو موقع مختلف من مبني إلى آخر.

1.1.1. كنيسة سان مينياتو الونتي في فلورنس - San Miniato al Monte, Florence

بنيت هذه الكنيسة ما بين 1062-1090م (وبعدها). تصميمها متاثر بالكنائس المبكرة ذات المسقط البازيليكالي البسيط فهي مكونة من مجاز مركزي ومجازين جانبين يفصل بينها رواق مكون من تناوب الدعامات والأعمدة التي تحمل أقواساً نصف دائيرية. ينتهي المحور الطولي للكنيسة بمحراب واحد في جهة الشرق ويقدمه فراغ مرتفع choir ذو منسوب مرتفع تقوم تحته كنيسة سفلية crypt تظهر واجهتها على شكل جدار فاصل ضمن الكنيسة.

البازيليكا مسقوفة بجملون خشبي تظهر بنيته الإنسانية من الداخل. مادة البناء الأساسية هي القرميد ولكن تم إكساء قسم كبير من السطوح الجدارية بالرخام على شكل إطارات هندسية وضمنها بعض الزخارف البسيطة، إضافة إلى الأرضية الرخامية - رخام مشقق. وفي الشرق تغطي نصف قبة المحراب لوحة موزاييك (1297 م).

مقطع البازيليكا المتدرج ينعكس على تصميم الواجهة الرئيسية من الغرب. الواجهة تتتألف من جزأين: القسم السفلي مكون من خمسة أقواس نصف دائيرية محمولة على أنصاف عمدة كورنثية أي أنه لدينا رواق ظاهري blind arcade تنتفتح ضمنه بوابة مركبة وأثنان جانبيتان. القسم العلوي من الواجهة يبرز امتداد المجاز المركزي نحو الأعلى. التشكيل يعتمد هنا على أربعة أنصاف دعامات pilaster كورنثية الشكل تحمل الجهة المثلثة.



كنيسة سان مينياتو الـ مونتي في فلورنس: مقطع طولي - واجهة غريبة - المجاز المركزي

الواجهة بكل منها ذات إكساء رخامي تعتمد على رخام كارارا الأبيض Carrara marble مع تقسيم السطوح إلى تشكيلات هندسية بواسطة إطارات من الرخام الأخضر الغامق - التقسيمات الهندسية لا تتواءك مع الخطوط الإنسانية أي أنها مجرد زخرفة.

يلحق بالكنيسة برج أجراس مستقل مربع الشكل يقع شمال المبنى لم يكتمل إنشاؤه حتى عام 1499 م ولكنه تهدم وأعيد بناؤه عام 1523 م.

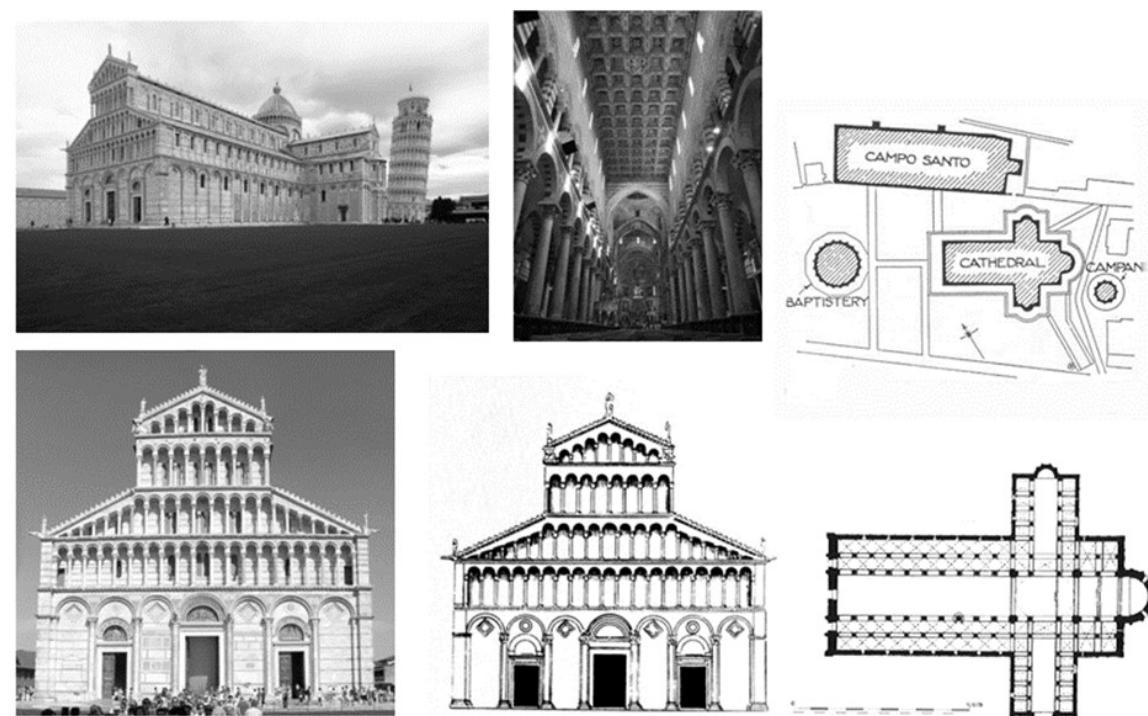
2.1.1. كاتدرائية بيزا - Pisa Cathedral

كاتدرائية بيزا Cathedral Santa Maria Assunta, Pisa هي جزء من مجمع مكون من مبنى الكاتدرائية وبرج مستقل المعروف ببرج بيزا المائل - ومبني المعمودية baptistery، أضيف إليها لاحقا مقبرة campo santo. بدء البناء كان عام 1063م واستمر العمل إلى القرن 14م حتى أخذ المجمع شكله النهائي.

مبنى الكاتدرائية

مسقط الكنيسة على شكل صليب لاتيني وهي عبارة عن بازيليكا مكونة من 5 مجازات: مجاز مركري ومجازين جانبين من كل جهة يعلوهما رواق gallery. يقطعها مجاز مفترض transept مكون من 3 مجازات مع أروقة جانبية علوية gallery. أي كان المبنى ناتج عن ارتباط ثلاث كنائس بازيليكية، ترتفع في مكان تقاطعها قبة crossing dome. وبالتالي للمبني ثلاثة محاريب، الأول يقع في الشرق في نهاية المحور الطولي وأثنان يقعان في نهايتي المجاز المفترض.

الأروقة الفاصلة بين المجازات مكونة من أعمدة ذات تيجان كورينثية تحمل أقواساً نصف دائرية يعلو كل منها في منسوب الطابق العلوي دعامات (تناوib فيها صفوف الحجارة) تحمل قوساً نصف دائري مقسم بواسطة عمود مركري إلى قوسين أصغر.



كاتدرائية بيزا: موقع - عام مسقط - المجاز المركزي - واجهة جنوبية وغربية

اللافت أن سطوح الجدران تحمل إكساء من الرخام الأبيض تخلله أشرطة أفقية من الرخام الرمادي. المجازات الجانبية مسقوفة في الطابق الأرضي بقبوّات متصلبة بينما ينتهي المجاز المركزي المرتفع والمجازات الجانبية في الطابق العلوي بأسقف خشبية جملونية يغطيها من الداخل سقف مستعار (القرن 17 م.).

بنية البازيليكا تعكس على الواجهات الخارجية وأكثرها تميزاً الواجهة الغربية، التي تبدأ بقسم سفلي عبارة عن رواق ظاهري blind arcade مكون من 7 أقواس نصف دائرية محمولة على أنصاف أعمدة كورينثية تفتح ضمّنها بوابة مركبة واثنتان جانبيتان. يعلوها رواق من الأعمدة dwarf gallery والأقواس نصف الدائرية الصغيرة تكمل مستطيل الواجهة وصولاً إلى بداية السقف المائل للمجازات الجانبية. يستمر هذا التشكيل في القسم العلوي من الواجهة المرتبط بالمجاز المركزي الأكثر ارتفاعاً وهو يقسم إلى ثلاثة أروقة ذات أقواس نصف الدائرية، أعلىها يشكل الجبهة المثلثة.

هذا التشكيل باستخدام الأروقة يعطي الواجهة عمقاً وحيوية نتيجة الظلال التي ترمي بها وتمتنع الجدران التخينة والمصممة خففة ورشاقة. يغطي الجدران المبنية من القرميد إكساء برحام كارارا الأبيض تخلله أشرطة أفقية من الرخام الرمادي، إضافة إلى حليات تزيينية ذات شكل معين. أما السطح الخارجي للأروقة فهو مساحة زخرفية منفذة بطريقة الرخام المشقّف.

تقسيم الواجهة الأفقي يستمر في الواجهات الجانبية والخلفية ولكن باستخدام الأروقة الظاهرة وليس الحقيقة في القسم العلوي، ما يعطي المبنى وحدة في التشكيل مع إبراز أهمية واجهة المدخل وكذلك الواجهة الخلفية حيث ينتهي المحراب الشرقي الكبير من الأعلى بصفين من الأروقة الصغيرة dwarf gallery.

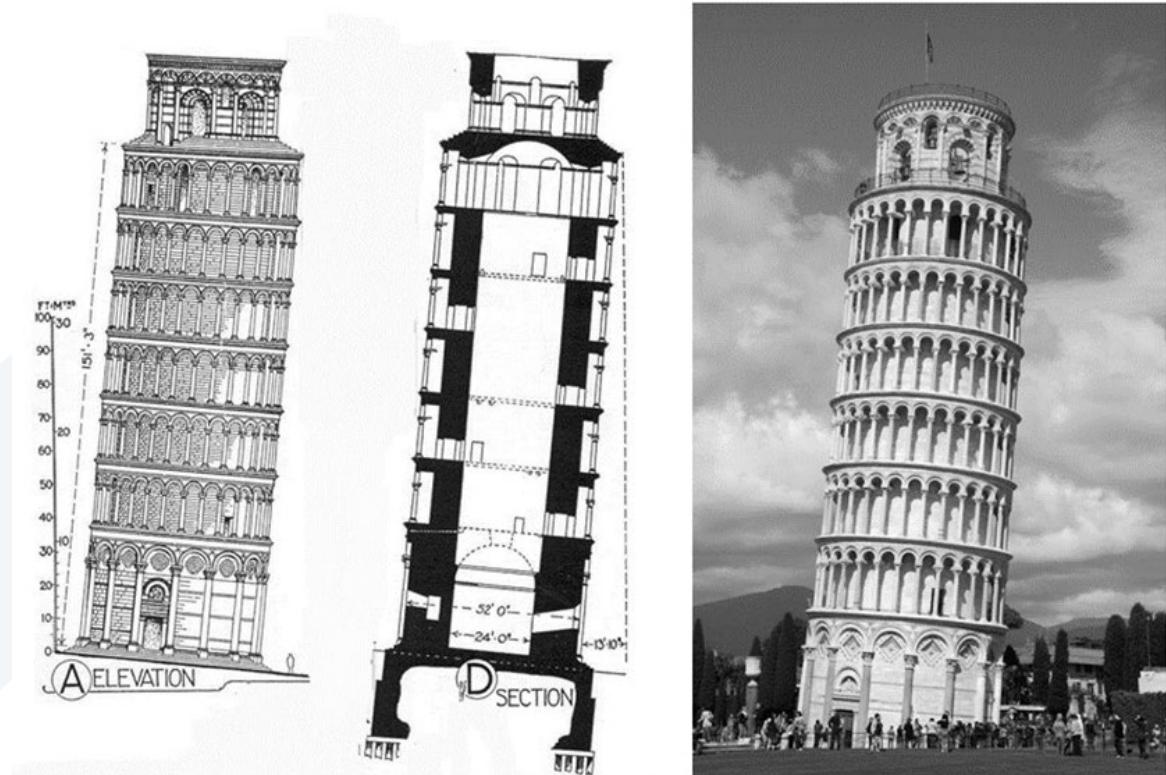
برج بيزا المائل - Leaning Tower of Pisa

يلحق بالكنيسة من جهة الشرق برج مستقل campanile، بدأ بنائه عام 1173 م.

أول ما يميز هذا البرج هو شكله الأسطواني، فمعظم أبراج الكنائس في إيطاليا هي أبراج مربعة. مسقط البرج دائري مفرغ من الداخل. الدرج الحلزوني يقع ضمن جدار البرج الثخين. البرج مقسم من الخارج إلى سبع طبقات، أضيف إليها طبقة ثامنة أصغر لاحقاً. الطبقة السفلية التي تضم المدخل تشكل قاعدة البرج وهي أكثر ارتفاعاً من باقي، واجهتها المصممة مقسمة بواسطة رواق ظاهري blind arcade، كما في مبنى الكنيسة ويضم نفس الحليات ذات الشكل المعين. تعلوها ست طبقات متساوية ومتماثلة، تقل فيها ثخانة الجدران لتفسح المجال لوجود أروقة محبيطة. أي أن هناك ربط في حل الواجهات مع المبني الرئيس.

عندما وصل البناء إلى الطبقة الثالثة عام 1185 م بدأ البرج يميل باتجاه الجنوب الشرقي (السبب هو تأثير التربة الغضارية والرمليّة نتيجة تطبيق الحموّلات) أدى ذلك إلى توقف العمل مدة 100 عام وعندما تمت متابعة العمل بنيت الطبقات الأربعية الباقيّة بدرجة ميل أقل من التي وصل إليها البرج لتحقيق التوازن وجعلت للطبقة السابعة سقف على

شكل قبة مسطحة. ثم توقف العمل مرة أخرى إلى أن اكتمل عام 1372 م ببناء الطبقة الأخيرة التي تضم الأجراس. (الارتفاع الكلي 55 م - القطر 12 م - الانزياح 3.9 م - درجة الميل 4 درجات) البرج مبني بالكامل من رخام كارارا الأبيض.



برج بيزا المائل: واجهة - مقطع

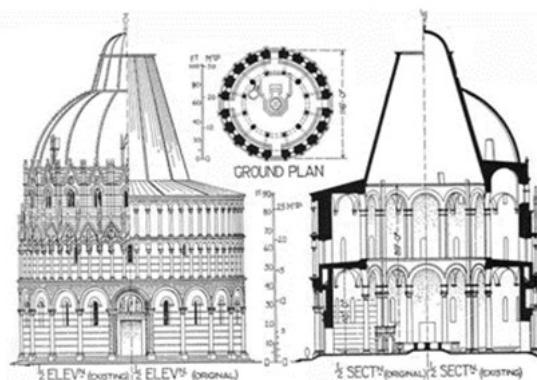
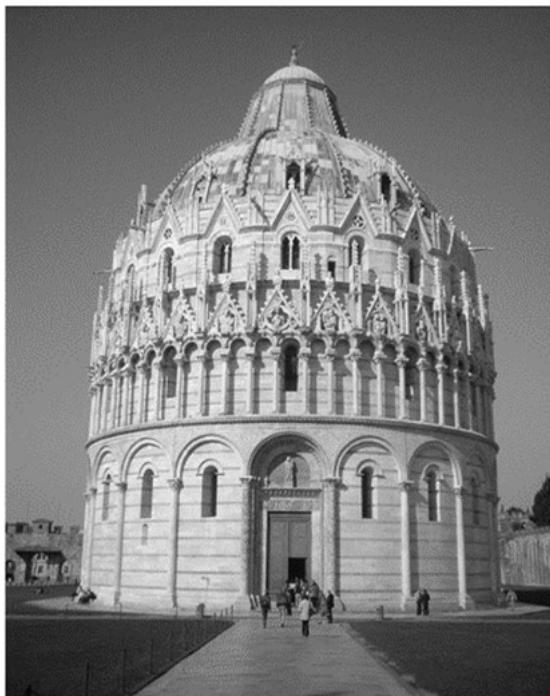
معمودية القديس يوحنا في بيزا

تتميز إيطاليا عن غيرها ببناء مبانٍ مستقلة للمعمودية ومنها كنيسة المعمودية في بيزا، التي تعد الأكبر في العالم وغالباً ما كان يتم اختيار التصميم المركزي لهذا النوع من المباني.

يقع المبنى على محور كاتدرائية بيزا بحيث يتقابل المدخلان الرئيسيان. بدء البناء كان عام 1153 م وهو عبارة كتلة أسطوانية تغطيها قبة. تم تصميم المبنى من الخارج بحيث ينسجم مع مبني الكاتدرائية، أي أن له نفس الرواق الظاهري المكون من أنصاف أعمدة تحمل أقواساً نصف دائرية ليعلوها رواق محيط من الأعمدة والأقواس الصغيرة. ولكن نقص

التمويل أدى إلى توقف البناء فلم يكتمل من الخارج إلا حوالي 1284م وبالتالي تم تنفيذ القسم العلوي من الواجهة مع القبة وفق طراز العمارة الغوطية.

يضم المبنى من الداخل رواقا دائريا مكونا من طابقين تعلوهما القبة. الرواق يتتألف في الطابق الأرضي من أربع دعامات وبين كل اثنين منها عمودان يحملان أقواسا نصف الدائرية، بينما يتكون الطابق العلوي من 12 دعامة مبنية بتناوب الرخام الأبيض والرمادي. يتوسط المبنى جرن معمودية مثمن الشكل.



ممودية القديس يوحنا في بيزا: الفراغ المركزي مع القبة - مقطع - مقطع
واجهة تظهر الحل الأول والحل المنفذ - واجهة شرقية

أثرت هذه المباني الهمامة على عمارة الرومانيسك في منطقة التوسكانا عموما وخاصة فيما يتعلق بتشكيل الواجهات باستخدام الرخام الملون والأروقة المتكررة في الواجهة الرئيسية ومن المباني المشابهة كاتدرائية سان مارتينو في لوكا San Martino Cathedral, Pistoia, Lucca (القرن 12م) وكاتدرائية سان زينو في بيسوتوفيا San Zeno Cathedral, Pistoia (القرن 12م).

2. عمارة الرومانيسك في جنوب إيطاليا وجزيرة صقلية

تأثرت عمارة جنوب إيطاليا وجزيرة صقلية بالعمارة البيزنطية وبالعمارة الإسلامية نتيجة سيطرة المسلمين على الجزيرة في زمن الأغالبة والفاتميين (ما بين القرن 9-11 م).

تعرف هذه العمارة التي نشأت في زمن سيطرة الملوك النورمانديين على منطقة أبولي جنوب إيطاليا وعلى جزيرة صقلية بمصطلح خاص بها norman-arabic-bzyantine Style كونها تجمع بين خصائص الطرز الثلاث. ويبرز تأثير عمارة النورماندي - التي بدأت في فرنسا - في الواجهة الغربية للكنائس التي تميز بوجود برجين ضخمين بينما مدخل الكنيسة twin tower façade. أما التأثير البيزنطي فيظهر عبر اعتماد التصميم البازيليكالي ومن خلال العمارة الحجرية المتقنة والأسقف الخشبية الجملونية إضافة إلى استخدام الفسيفساء الزجاجية المذهبة لإكساء الجدران من الداخل، في حين يبرز تأثير العمارة الإسلامية باستخدام الأقواس المدببة والمتقاطعة والزخارف الرخامية والحجرية الملونة في تشكيل الواجهات الداخلية والخارجية والأرضيات إضافة إلى استخدام القباب والمقرنصات في بناء القصور.

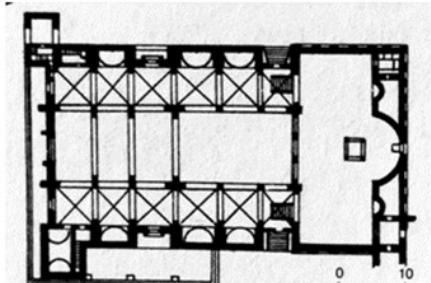
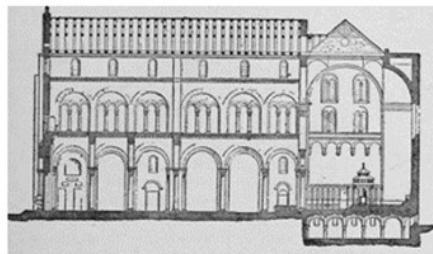
كما انعكس المناخ المتوسطي المائل إلى الحار صيفاً السائد في هذه المنطقة الجنوبية على العمارة مما أدى إلى انتشار الأسقف الجملونية ذات الميل الخفيف إضافة إلى الأسقف المستوية.

تعتبر من الأمثلة على هذه العمارة كنيسة القديس نقولا في باري Basilica San Nicola, Bari وكاتدرائية القديس نقولا في ترانى San Nicola Cathedral, Trani. إضافة إلى مبانٍ هامة في جزيرة صقلية منها كاتدرائية سيفالو Cefalú وكاتدرائية مونريالي La Cuba Cathedral الواقعان قصر لا سيزا La Siza, Palermo وقصر القبة Monreale Cathedral غرب باليرمو التي ساهم البناءون العرب في بنائها.

1.2. كنيسة القديس نقولا في باري - Basilica San Nicola, Bari

بنيت الكنيسة في مدينة باري أثناء سيطرة الملوك النورمانديين على منطقة أبولي جنوب إيطاليا ما بين 1087-1106 م لتضم رفاة القديس نقولا الذي تم نقلها إلى هنا في هذه الفترة.

تعكس بنية البارزيليكا على الواجهة الغربية المبنية من الحجر المنحوت بإتقان، حيث تفصل دعامات جدارية بارزة المجازات عن بعضها ويتم التأكيد على ميل الأسقف من خلال إفريز مائل من الأقواس نصف الدائرية round arch. تفتح وسط كل مجاز بوابة بسيطة يعلوها تشكيل من الأقواس الظاهرية ومن ثم نوافذ بسيطة أو مزدوجة ذات frieze. تفتح بوابة الرئيسة لها مظلة محمولة على عمودين جانبين يرتكزان من كل جهة على تمثال أسد. ولكن أقواس نصف دائيرية. البوابة الرئيسة لها مظلة محمولة على عمودين جانبين يرتكزان من كل جهة على تمثال أسد. ولكن أكثر ما يلفت النظر البرجان المربعان الملحقان بالواجهة الغربية وهو تأثير للعمارة الفرنسية في منطقة النورماندي غير أن هذين البرجين لم يكتمل بناؤهما.



كنيسة القديس نقولا في باري: مقطع طولي - مسقط - المجاز المركزي - واجهة غربية وشرقية

عند الدخول إلى المبنى نجد بازيليكا مكونة من ثلاثة مجازات تفصل بينها أروقة تتناوب فيها الدعامات والأعمدة تحمل أقواساً نصف دائرية ويعلو كل من المجازين الجانبيين رواق gallery. المجازان الجانبيان مسقوفان بقبوّات متصلبة في الطابق الأرضي بينما كانت الأسقف العلوية جملونات مفتوحة، كما في المجاز المركزي.

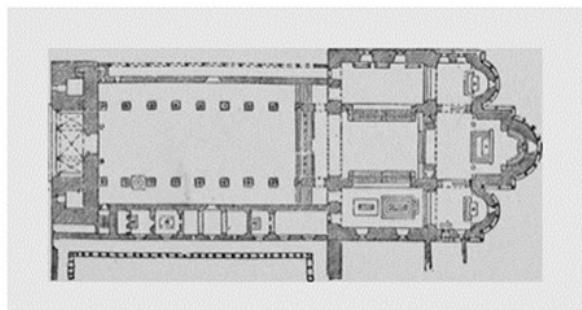
يفصل المجاز المععرض عن الباقي بثلاثة أقواس وينفتح في نهايته الشرقيّة محراب مركزي بالإضافة إلى محرابين جانبيين صغيرين ولكهما هذه المحاريب لا تظهر من الخارج إذ تغلفها كتلة مكعبية تستخدم عناصر مشاهدة لواجهة الغربية.

2.2. كاتدرائية مونريالي - Monreale Cathedral

أنشئ المبنى المعروف بكاتدرائية مونريالي Cathedral of Santa Maria Nuova, Monreale الواقعه في شمال جزيرة صقلية ما بين 1172-1176م من قبل الملك وليم الثاني ملك صقلية.

يتم الدخول إلى المبني المنشأ من الحجر الكلسي من جهة الغرب عبر بوابة غائرة تتوسط برجين مربعين بسيطين. يظهر تأثير العمارة الإسلامية في استخدام الأقواس المتلقاطعة فوق البوابة. المسقط ذو تصميم بازيليكي مكون من ثلاثة مجازات: مجاز مركزي ومجازين جانبيين يفصل بينهما رواق من الأعمدة والأقواس مدبة المطاولة التي تشبه الأقواس

الفاطمية. القسم السفلي من الجدران ذو إكساء رحامي ينتهي بصف من أزهار الزنبق (تأثير عمارة إسلامية) يعلوها لوحات من الفسيفساء ذات خلفية ذهبية بمواقع مختلفة تغطي أيضاً كامل الجدران التي تعلو الأورقة (تأثير بيزنطي) - كما تلفت النظر أرضية الكنيسة المنفذة من الرخام المشقق (تأثير عمارة إسلامية).



كاتدرائية مونريالي: واجهة شرقية وغربية - مسقط - المجاز المركزي

أما في جهة الشرق فيلي المجاز المعترض ثلاثة محاريب تتميز بإكسائهما من الداخل بفسيفساء ذات خلفية ذهبية بمواقع كنسية، بينما تغطيها من الخارج مجموعة من الأقواس المتلقاطعة المنفذة على شكل أشرطة زخرفية مكونة من حجارة ملونة صغيرة (أسود - أصفر - أبيض) مع وجود حلقات دائرية مختلفة ضمن السطوح.

الحق بالكنيسة دير لم يبق منه اليوم إلا فناء الدير cloister المحاط بالأورقة ذات أعمدة صغيرة مضاعفة لها أشكال متعددة تحمل أقواساً مدببة ومتطاولة (تشبه الأقواس الفاطمية).